الرسول الأعظم

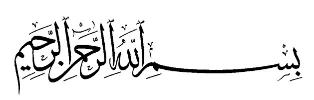
صلى الله عليه وآله

رائد الحضارة الإنسانية



السيد محمد رضا الحسيني الشيرازي

كلمة الناشر



كتاب حظي بالقبول

نشأ الفقيد الغالي آية الله السيد محمد رضا الحسيني الشيرازي رحمه الله في بيت العلم والفقاهة والتقوى والفضيلة، بيت آل الشيرازي الكرام.. فحمل بين جوانبه كل مواهب الوالد رحمه الله من نبوغ ونباهة، وذكاء وفطنة، وجدّ واجتهاد، وورع وتقوى، كما ورث من أسرته الكريمة معاني الإباء والعزة، والشرف والسؤدد، والجهاد والمناضلة، والتجديد والتحديث.

فكان رحمه الله في عداد أولئك العلماء الربانيين المعدودين الذين ﴿**لا يَعْصُونَ اللّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[1]، بل تركوا حتى المكروهات، وقد ظهرت شدة ورعه رحمه الله في سيرته اليومية وسلوكه الشخصي، وطبائعه وأخلاقه، وجرت على لسانه وبيانه، وفي تأليفه وتصنيفه. وقد بدأ رحمه الله بالكتابة وهو لم يبلغ الحلم بعدُ، وشرع في التأليف وهو ابن أربعة عشر عاماً، وكان أول ما كتب: الكراس الذي بين يديك ـ أيها القارئ الكريم ـ الذي يحمل عنوان: (الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم رائد

(١) سورة التحريم: ٦.

الحضارة الإنسانية).

فكان أوّل ما ألّف يتضمن الحديث عن أوّل إنسان شرفاً ومنزلةً، ومقاماً وقدراً عند الله تعالى ألا وهو الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.. وكما كان بداية ما كتب عن بداية من خلق الله عزوجل، إذ في الحديث الشريف: إن الله تعالى ابتدأ الخلق بخلق نور النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ثم نور أهل بيته المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين)، فتناسب لأجل ذلك: التأليف والمؤلف عنه، والكتاب والمكتوب عنه، فأول تأليفه عن أوّل الخلق شرفاً ومقاماً، وبداية الكتابة عن بداية الخلقة تألقاً وتلألؤاً. وكان ذلك مقروناً بالإخلاص والوفاء فجعل من هذا الكراس موقع القبول، وحظي لدى الله تعالى والرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالعناية واللطف، مما دعانا إلى تجديد طبعه، وحثّنا على نشره، وقد رؤيت منامات صادقة من قبل بعض المؤمنين الصالحين ما يؤيد ذلك:

فقد رأى أحد أقرباء الفقيد رحمه الله أنه قامت القيامة ويؤتى بالناس للحساب، فبينا هو كذلك إذ وصلت النوبة إلى آية الله السيد محمد رضا الشيرازي قدس سره فلما حضر للحساب إذا بمنادٍ ينادي: أن لا حساب له وليدخل الجنة بغير حساب جزاءً له على ما كتبه حول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، يقول صاحب الرؤيا: انتبهت من نومي متعجباً مما رأيت، لأني لم أكن أعلم بكتاب للفقيد حول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فبدأت أسأل عن ذلك

إلى أن علمت بأن السيد رحمه الله في السن الرابعة عشر من عمره كتب كراساً بعنوان (الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم رائد الحضارة الإنسانية) وقد طبع الكتاب باسم (محمد رضا الحسيني) دون الاسم الصريح تواضعاً منه وإخلاصاً.

وبعد ما رؤيت هذه الرؤيا الصادقة عزم أحد أرحام الفقيد على تجديد طبع الكراس ونشره، إذا ببعض من ذوي الفقيد يلتقي به ويقول له: لقد رأيت في المنام السيد محمد رضا رحمه الله وهو يبدي شكره لك وثناءه عليك ورضاه منك وسروره في عزمك، ثم يواصل كلامه متسائلاً: وهل عزمت على شيء فيما يتعلق بفقيدنا العزيز ويرتبط بالنسبة إليه؟ هذا في الحين أن الذي كان قد عزم على تجديد طبع الكراس ونشره لم يكن أخبر أحداً بذلك، فيقول متعجباً من صدق الرؤيا ومسروراً من قبل ما عزم عليه: نعم، لقد عزمت على تجديد طبع كراس للفقيد كتبه قبل أوان بلوغه وهو: (الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم رائد الحضارة الإنسانية).

ونحن مساهمة منّا في الثواب والأجر، قمنا بإعادة طبعه، مع إضافة إحدى محاضراته القيمة حول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لتتم الفائدة، سائلين الله القبول والأجر آمين رب العالمين.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر
كربلاء المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.

سورة آل عمران: ١٤٤

﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.

سورة الأحزاب: ٤٠

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾.

سورة الفتح: ٢٩

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾.

سورة الأحزاب: ٢١

المقدمة



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين، من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال الشاعر:

وإذا استطال الشيء قام بنفسه

وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا[1]

حينما يبحث الإنسان في ثنايا التاريخ يجد ـ هناك ـ عباقرة

---

(١) عوتب أبو الطيب المتنبي ـ الشاعر المعروف ـ لتركه مدح أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال:

وتركت مدحي للوصي تعمداً إذ كان نوراً مستطيلاً شاملاً

وإذا استطال الشيء قام وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً

مصادر نهج البلاغة، للسيد عبد الزهراء: ج١ ص١٤٦ ط بيروت مؤسسة الأعلمي.

وعظماء، استطاعوا أن ينالوا درجة المجد، ويقتطفوا زهور الفلاح، وتمكنوا من أن يرشّوا عبير الخير والتقوى على جبين المجتمع.

وفعلاً ..لقد أدّى هؤلاء العباقرة رسالتهم التي كُلّفوا تبليغها إلى البشرية، وتحمّلوا أعباء الهداية والإرشاد، والسير بالإنسانية إلى الفلاح والسعادة والتقدم والرفاه ..

وعندما يسبر الإنسان أحوالهم، ويدقّق في الصفات الحسنة التي يمتلكونها، يجد أنّ هؤلاء العظماء لم ينبِغوا إلاّ في بعض العلوم، ولم يتحمّلوا إلاّ ببعض السمات الحميدة.

وقلّ أن يُرى أحداً منهم وقد نبغ في جميع العلوم وأحاط بها إحاطةً مستوعبةً، وتحلّى بكلّ المزايا الحميدة، والأخلاق الفاضلة، ويبرز في رأس قائمة القِلّة هذه: رسول الإسلام العظيم، محمد بن عبد الله ﷺ هذا الرسول الذي ضحّى بكل ما يملك في سبيل إماطة ضباب الجهل والغفلة والرذيلة عن البشرية، وجهد طيلة عمره من أجل إنقاذ البشرية من المستنقعات الموبوءة بالرذيلة والفشل والسقوط ..

وما أجدر بالإنسان أن يبحث في حياته صلى الله عليه وآله وسلم الكريمة، ويحاول أن يدرسها دراسة موضوعية، ليتخذه صلى الله عليه وآله وسلم قدوة في كافّة أعماله، ويجعله صلى الله عليه وآله وسلم الأسوة الحسنة ..

قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ (١).

فلنبحث في هذه العجالة عن بعض جوانب حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ولنسرد بعض مزاياه وصفاته وأخلاقه النبيلة، التي قد عبّر الله تعالى عنها بأنها أخلاق عظيمة، قائلاً: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (٢).

وذلك لكي يكون خير محفّز للفرد المسلم على الاقتداء والتأسي به صلى الله عليه وآله وسلم .. لكي يحظى بالسعادة والرفاه والاستقرار، والله الموفّق المستعان.

محمد رضا الحسيني

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢) سورة القلم: ٤.

الميلاد المبارك

مع إطلالة الصباح من اليوم السابع عشر من ربيع الأول، حينما أرسل الفجر خيوطه البيضاء المشرقة على الأفق، لتتقلص عناصر لظلمات عن آخرها، وعندما بدأ ضوء النهار يسطع على الأفق ليكنس رواسب الليل، وُلِدَ الرسول الأعظم محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب (صلّى الله عليه وآله وسلم) لينقذ البشرية من الظلمات، ويوصلهم إلى شاطئ النور والسعادة، ويحلِّق بهم في سماء العلم والفضيلة، ويرسي سُفُن حياتهم على شاطئ الأمن والاستقرار والسعادة [1] ..

---

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام: قالت آمنة بنت وهب بن عبد مناف عليها السلام والدة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: لما قربت ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رأيت جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي، وكان قد تداخلني رعب فذهب الرعب عني، وأوتيت بشربة بيضاء ظننتها لبناً وكنت عطشى فنولتها فشربتها فأصابني نور عال. ثم رأيت نسوة كالنخل طولا تحدثني. فعجبت وجعلت أقول في نفسي: من أين علمن هؤلاء بموضعي؟ ثم اشتد الأمر، وأنا اسمع ←

قال الله تعالى في وصف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

﴿وَيُحِلّ لَهُمُ الطّيّبَاتِ وَيُحَرّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأغْلاَلَ الّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [1].

وعندما بزغ فجر الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم على الأفق بدت حوادث خارقة، منها:

أولاً: انخمدت (انطفأت) نيران فارس [2].

←

الأبيض الوجيه في كل وقت. حتى رأيت كالديباج الأبيض قد ملأ ما بين السماء والأرض وقائل يقول: خذوه من أعز الناس، ثم رأيت رجالاً وقوفاً في الهواء بأيديهم أباريق ثم كشف عزوجل لي عن بصري ساعتي تلك فرأيت مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبة: علماً في المشرق وعلماً في المغرب . وعلماً على ظهر الكعبة. ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخر ساجداً ورفع إصبعه إلى السماء كالمتضرع المبتهل..). روضة الواعظين: ٦٨_٦٩.

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج١ ص٣٠ فصل في مولده صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه: (وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ولم يبق سرير لملك إلاّ أصبح

←

ثانياً: غاصت بحيرة ساوة في إيران[1].

ثالثاً: سقطت شرفات من قصر ملك الفرس[2].

رابعاً: نكست الأصنام[3].

خامساً: شع من محيّا النبي صلى الله عليه وآله وسلم نور أضيئت به بيوتات مكة ..

✿✿✿

وشبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيت محافظ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يتمتع بحسن الخلق، وطيب السريرة، وسائر الصفات الحسنة، فنشأ نشأةً صالحةً، قاد عبرها ملايين الأجيال وألوف الفئات.

منكوساً، والملك مخرساً لا يتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة وبل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلاّ حجبت عن صاحبها).

(١) حلية الأبرار: ج١ص٢٣. و(ساوة)مدينة بين قم وطهران.

(٢) جاء في أمالي الصدوق: وارتجس (والارتجاس: الاضطراب والتزلزل) في تلك الليلة (أي ليلة مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم)إيوان كسرى، وسقطت منه أربعة عشر شرفة. الأمالي: ص٢٨٥ المجلس ٤٨ ح١.

(٣) بحار الأنوار: ج١٥ص٢٥٧ ب٣ ح٩ وفيه: (وأصبحت الأصنام كلها صبيحة ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس منه صنم إلاّ وهو منكب على وجهه).

ولقد كان الرسول ﷺ منذ نعومة أظفاره، وفي عنفوان شبابه، يهوى الأخلاق الفاضلة، ويحبّ الصفات الحميدة.

وكان ﷺ معروفاً في قومه بـ (الصدق) و(أداء الأمانة) ..

ومضت عليه ﷺ أربعون سنة وهو المثل الأعلى في هاتين الخصلتين، حتّى أنّ رجال قومه عندما كانوا يقصدون الخروج من مكة، كانوا يودعون أموالهم لدى النبي ﷺ، دون سائر رجال عشيرتهم ..

✿✿✿

كان الرسول الكريم ﷺ يذهب إلى «غار حراء» ويعبد الله سبحانه وتعالى فيه، ويفكر في قومه الذين حادوا عن صراط الحق، وزاغوا عن سنن العدالة، ويفكر ـ أيضاً ـ في كيفية هدايتهم؟ ..

وفي ذات يوم وبينما كان الرسول ﷺ سارحاً بفكره وتأمّله ..رأى أن أبواب السماء انفتحت وهبط جبرائيل عليه السلام قائلاً له:

اقرأ يا محمد!

وجاء الجواب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم: وما أقرأ؟ ..

فقال جبرائيل عليه السلام: ﴿**بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ ۞ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبّكَ الّذي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبّكَ الأَكْرَمُ ۞ الّذِى عَلّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[1]، الآيات..

وانطلقت الرسالة المحمدية من «غار حراء» ..

وهبط الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من الجبل، قاصداً قومه، ليبلغهم رسالة ربه، ويبشّرهم بالدين الجديد، فاعتلى الجبل، منادياً بقريش:

«إن الرائد لا يكذب أهله، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم تصدقونني»؟ ..

وجاء الجواب ـ وبصوت واحد ـ:

نعم .. نعم .. ما جربنا عليك كذباً.

وعند ذاك أعلن صلى الله عليه وآله وسلم رسالته السماوية .. وطلب منهم أن

(١) سورة العلق: ١ـ٥.

يؤمنوا به، ويؤازروه على نشر رسالته[1] ..

ولكنّهم استهزءوا به .. ولم يؤمن به إلاّ نفر قليل .. أولهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) .. ثم السيدة خديجة (عليها السلام)، ثم جمع آخر من الناس ..



والسؤال الآن هو:

هل تركت قريش النبي محمد ﷺ ليبلّغ رسالة ربّه؟ وليدعو الناس إلى اعتناق هذا الدين السماوي الجديد والتشبث به؟!

والجواب:

إن قريشاً لم تمتنع فقط عن قبول دعوة الرسول ﷺ، وإنما انتهجت معها مسلكاً مضاداً، فآذت النبي ﷺ، وأجبرته على الهجرة، وضربت عليه الحصار الاجتماعي والاقتصادي و .. و.. و .. وقابلت أصحابه بالكبت والاضطهاد ..

فهذا (عمّار بن ياسر) كم عذّبوه ونكّلوا به ..

---

(١) انظر: حلية الأبرار: ج١ص٧١ ـ ٧٢.

وهذا أبوه (ياسر) .. وهذه أمّه (سُميّة)، كم عذّبوهما، وكيف قتلوهما شرّ قتلة..

وهذا (بلال) كم عذبوه وضربوه ؟؟.

ولكن الرسول ﷺ بقي صامداً أمام اعتداءات المشركين، وظلّ صابراً تجاه تحرشاتهم ومناوشاتهم حتى جاء الفتح، وأسلم المشركون، وجاء نصر الله تعالى.

قال الله عزّ وجل:

﴿بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ ۞ إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّهِ أَفْوَاجاً﴾[1].

وهكذا ..

ظل فجر الإسلام .. يتوسع .. وينتشر .. ويكشف نقاب الجهل والرذيلة عن وجه البشرية ..

۞ ۞ ۞

---

(١) سورة النصر: ١ ـ ٣.

القرآن.. المعجزة الخالدة

عندما يرسل الله (عزّ اسمه) نبياً من أنبياءه عليهم السلام، يزوده بالمعجزة، لتثبت رسالته أولاً.. وتثبت كذب غير النبي الذي يدعي الرسالة زوراً ..

فما هي معجزة نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وما هو البرهان الذي يشير إلى نبوته؟ ..

الواقع هو ..

إن النبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم له معاجز كثيرة ومتنوعة، وهي قسمان:

١): المعاجز التي اختصت بمن عاصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٢): المعاجز التي تعمّ المعاصرين وغيرهم.

ويتشكل القسم الأول من أمثال، تكلّم الحصى على يد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم[1]، ونبع الماء من كفّه[1]، وما شابههما مما حفظها

---

(١) في بحار الأنوار: ج١٧ ص٣٧٧ ب٤ ح٤٢ عن الخرائج والجرائح: (روي ←

التأريخ(٢).

→

عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ كفا من الحصى، فسبحن في يده صلى الله عليه وآله وسلم، ثم صبهن في يد علي عليه السلام فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح في أيديهما، ثم صبهن في أيدينا فما سبحت).

وفي البحار: ج١٧ ص٣٧٩ ب٤: عن ابن عباس قال: (قدم ملوك حضر موت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: كيف نعلم أنك رسول الله؟ فأخذ صلى الله عليه وآله وسلم كفا من حصى، فقال: هذا يشهد أني رسول الله! فسبح الحصى في يده وشهد أنه رسول الله)

(١) تقريب المعارف: ص١١٠، وفيه: (ونبع الماء من بين أصابعه).

(٢) للتفصيل يمكن مراجعة كتاب (من معاجز النبي صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام السيد محمد الشيرازي رحمه الله والمجلد السابع عشر من بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله.

قال الشاعر:

نبينا آياته ظاهره — عن بعضها يعجز من فاخره

أعظمها القرآن جلّ الذي — أنزله معجزة باهره

وفي انشقاق البدر للمصطفى — والشمس فيها آية ظاهره

كذاك نبع الماء من كفه — يجري كغيث الأسحب الماطره

←

ويتشكل القسم الثاني من «القرآن المجيد» المعجزة الخالدة على مدّ العصور والأزمنة ..

وقد يتساءل البعض قائلين :

➔

كـم أطعـم الجـيش وأرواهـم مـن نـزر شـيء حيـنما باشـره

كـم بقعة يابسة قــد غــدت بوطيه مخضــــرة ناضــــره

وردّ عيـــــناً ذهبــــت كلهــــا إلـى الحجـاج انقلبـت ناظـره

بلمســـة ردّ يـــداً بعـــد مـــا قـد قطعـت مـن ضـربة باتـره

للميـت أحـيا غـير مـا مـرة بقـــدرة الباعـــث للآخـــره

أطلعـــه الله علـــى علـــم مـــا يكون في الدنيا وفي الآخره

علـوم كـل الـناس فـي علمـه كقطـــرة مـــن أبحـــر زاخـــره

وفضـــله أعـــيا الـــورى عـــده أفهامــه عــن حصـره قاصـره

صـــلى علـــيه ربـــنا دائمـــا صـــلاته الزاكـــية العاطـــره

ثـم علـى العـترة أهـل الـتقى أكـرم بـه مـن عـترة طاهـره

كـــذا علـــى الآل لـــه قـــدوة للـناس مـثل الأنجـم الزاهـره

فنســـأل الله بهـــم رحمـــة تعمـــنا باطـــنة ظاهـــره

لـــنقطع الغـــم بـــتقوى وأن يخـــتم بالخـــير لـــنا آخـــره

ما هي المعاجز التي احتوى عليها القرآن الكريم؟ ..

والجواب .. بالرغم من أن القرآن الحكيم ليس كتاب الاكتشافات والفلكيات .. إلاّ أنه قد حوى ذلك في كثير من الآيات[1]، وهذه هي بعض ما في القرآن الحكيم مما أثبته العلم الحديث ..

١

يقول القرآن الحكيم: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[2].

يقول علماء الجغرافيا: إن الأرض كانت في بدء خلقتها متمركزة، ثم انتشرت وتوسعت على مرور الزمن.

فلقد كانت دائرة المادة بمقدار ألف مليون سنة ضوئية [3] وهي

---

(١) وذلك قبل أن يصل إليه علم البشر بعشرات القرون.

(٢) سورة النازعات: ٣٠.

(٣) لسنة الضوئية هي عبارة عن: المسافة التي يقطعها الضوء في سنة زمنية كاملة والتي تعادل تسعة آلاف وأربعمائة وثمان وستين (٩٤٦٨) مليار كيلومتر.

الآن أصبحت أكبر من ذلك بمقدار عشرة أضعاف ..

٢

يقول القرآن الحكيم: ﴿**وَأَلْقَىَ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ**﴾[١].

قوله: ﴿أن تميد﴾ أي لئلا تميد.

تتفق نظرية العلماء ـ اليوم ـ على أن المادة الخفيفة وزناً ارتفعت على سطح الأرض وهي الجبال، وبقيت المادة الثقيلة تحت الأرض، ولولا ذلك لمادت الأرض بأهلها .. وهكذا استطاع الانخفاض والارتفاع أن يحافظ، على توازن الأرض.

٣

يقول القرآن الكريم: ﴿**حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنْزِيرِ**﴾[٢].

تبين هذه الآية الكريمة عن الخباثة القابعة في (الدم) و(الميتة)

---

(١) سورة لقمان: ١٠.

(٢) سورة البقرة: ١٧٣.

و(لحم الخنزير).

فلحم الخنزير يحتوي على ٩٠٪ من «حامض البوليك» وهي مادة سامة تضرّ بالصحة لو استعملها الإنسان وأكلها .. وكذلك (الميتة) و(الدم)فإنهما أيضاً يحتويان على هذه المادة الخطيرة ..

✿✿✿

هذا ..وإن في القرآن الحكيم آيات كثيرة جداً فيها من الأشياء مما لم يعرفها الإنسان إلاّ في النصف الأخير من القرن العشرين.

ويكفي مطالعة كتاب (التكامل في الإسلام) [1] و(الإسلام يتحدى)وغيرهما للكشف عن هذه الحقيقة..

✿✿✿

ماذا قدّم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لنا؟ ..

---

(١) للأستاذ أحمد أمين الكاظمي : (١٣٢٤ ــ ١٣٩٠هـ)ولد في الكاظمية المقدسة ثم انتقل إلى النجف الاشرف ودرس عند علمائها ومنهم الشيخ محمد جواد البلاغي والشيخ نعمة الله الدامغاني ، ودرس الدراسة الأكاديمية في جامعات تركيا وفرنسا في العلوم الرياضية ، من مؤلفاته (التكامل في الإسلام).

أسئلة تطرح نفسها كلّما جاء الحديث عن الرسول الأعظم ﷺ والأئمة الطاهرين عليهم السلام على بساط البحث قائلة:

ـ ماذا قدّم الرسول ﷺ لنا؟ ..

ـ وما هي الفائدة التي جنيناها منه ﷺ؟ ..

ـ ولماذا نفضّل الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام على المكتشفين والمخترعين؟ ..

والجواب:

ـ إن الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام قد تحملوا أعباء رسالة الله إلى الإنسان، وهم قد بينوا للإنسان خرائط السعادة والرفاه، في الدنيا والآخرة، ولولاهم لكان البشر يتيهون ويضيعون في طرق هذه الحياة الملتوية.

ومن الواضح ..

إن بيان سبل السعادة للإنسان، هو أفضل بكثير من إيجاد حياة مادية فحسب.

فانظر إلى ما قدّمه الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام إلى البشرية!.

فلقد كانت الجزيرة العربية في منتهى الاضطراب .. وكانت الحروب تنشب أظافرها فيهم .. وكان الجاهليون يدفنون بناتهم في التراب وهنّ بعدُ أحياء، ويقتلون أولادهم خشية الفقر ..

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ (١).

وقال عزّ شأنه: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوَاْ أَوْلاَدَكُمْ مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (٢).

ولقد انتشرت الرذيلة، في أرجاء الجزيرة العربية، ورفرف الجهل بأجنحته على رؤوسهم .. وخيّم المرض عليهم. وانتظرهم الموت جاثياً عن كثب .. فجاء رسول الإسلام ﷺ بأرفع القوانين، وأعلاها، وأعظمها شأناً، وأنقذ الإنسانية من السقوط، ومن الجهل والمرض والرذيلة ..

أما المكتشفون ..

---

(١) سورة التكوير: ٨ ـ ٩.

(٢) سورة الأنعام: ١٥١.

أما المخترعون ..

فإنهم لم يخططوا برنامجاً ودستوراً للحياة السعيدة المقرونة بالرغد والهناءة ..

صحيح ..إنهم هيئوا الوسائل الأحسن للعيش، ولكنهم لم يكونوا ليخططوا للحياة السعيدة ..

✿✿✿

وبعد أن عرضنا وجه المفاضلة بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام وبين المكتشفين والمخترعين، يقفز السؤال التالي :

ـ ماذا يريد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منا؟ ..

لا شكّ أن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، لا يريد منّا أن نطعمه أو نكسوه أو نوفّر له الراحة الكاملة .. وإنما الشيء الذي يسعى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام لتحقيقه هو أن يهيئوا لنا الحياة السعيدة.. إنهم يريدون أن نقتدي بهم، ونسير على برنامجهم الذي خطوه لنا، إنهم يريدون أن نصبح مثلهم أخياراً حتى نفلح ونفوز بخير الدنيا والآخرة..



شهادات علماء الغرب

وفي الختام ..

نعرض بعض شهادات العلماء الغربيين حول الإسلام وحول القرآن الكريم وحول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .. لنعرف أن الإسلام أفضل من جميع الأديان وأحسنها وأجدرها بالإتباع ..

يقول الفيلسوف (كيرللس الأول):

«إن في الشرق قانوناً، قد نظمه وأسسه الفيلسوف العربي (محمد)، لو أن العالم بجميع عناصره اتبع نهج هذا الفيلسوف العربي والتزموا جمعاً بقانونه، لم يك في العالم كله دولتان، بل دولة واحدة، ولم يختلف اثنان، ولم يفتقر أحد إلى أحد ..».

ويقول الدكتور المؤرخ (ريتسين):

«دين محمد قد أكد ـ من الساعة الأولى لظهوره في حياة النبي ـ أنه دين عامّ، فإذا كان صالحاً لكل جنس كان صالحاً بالضرورة لكل عقل، ولكل درجة من درجات الحضارة».

ويقول الدكتور (جرينة) الفرنسي عضو مجلس النواب:

«تتبعت كل الآيات القرآنية، التي لها ارتباط بالعلوم الطبيعية والصحية والطبية التي درستها من صغري، وفهمتها فهما جيّداً، فوجدتها منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت، لأني تيقنت أن محمداً أتي بالحق الصراح من قبل ألف سنة، من غير أن يكون له معلّم أو مدرّس من البشر، ولو أنّ صاحب كل فن من الفنون، أو علم من العلوم قارن كل الآيات المرتبطة بما يعلمه جيّداً كما قارنت أنا، لأسلم بلا شك، إن كان عاقلاً خالياً من الأغراض».

ويقول البروفسور (بورسورت سميث):

«عندما ألقى نظرة إجمالية، استعرض فيها صفاته ـ محمد ـ وبطولاته .. وعندما أرى أصحابه الذين نفخ فيهم روح الحياة، وكم من البطولات المعجزة أحدثوا، أجده أقدس الناس وأعلاهم مرتبة، حتى إن الإنسانية لم تشهد له مثيلاً ..».

ويقول (برنارد شو) :[1]

«إنه لو تولى العالم الأوروبي رجل كمحمد، لشفاه من علله كافة، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية، إني أعتقد أن الديانة المحمدية هي الديانة الوحيدة التي تكون حائزة لجميع مرافق الحياة، لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولاً لدى أوروبا غداً، وقد بدى يكون مقبولاً لديها اليوم، ما أحوج العالم إلى رجل كمحمد يحل مشاكل العالم ..».

ويقول المستشرق (ليتسن) :

«إني لأجرؤ بكل أدب أن أقول: إن الله الذي هو مصدر الخير والبركات كلها، لو كان يوحي إلى عباده فدين محمد هو دين الوحي، ولو كانت آيات الإيثار والأمانة والاعتقاد الراسخ القوي، ووسائل التمييز بين الخير والشر ودفع الباطل هي الشاهدة على الإلهام، فرسالة محمد هي هذا الإلهام ..».

---

(١) جورج برنارد شو: ١٨٥٦م مسيحي بروتستانتي كاتب ايرلندي له كتاب عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أحرقته الحكومة الإنجليزية.

ويقول (شيرل) عميد كلية الحقول بجامعة فينا:

«إن البشرية تفتخر بانتسابها إلى رجل كبير كمحمد، إذ إنه استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته .. بعد ألفي عام ..».

فمتى نعود إلى تطبيق الإسلام؟ ..

وفي أي وقت نرجع إلى مجدنا العريق وعزّنا الأصيل؟ ..

حتى ترجع إلينا السعادة والرفاه.

نرجو أن يكون ذلك قريباً.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

الكويت

٥ شوال ١٣٩٣هـ

محمد رضا بن السيد محمد الحسيني

(١) سورة الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢.

محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين، إلى قيام يوم الدين.

مقدمة

مفهوم (الرحمة) يشكّل أحد المحاور الأساسية في فكر الإنسان المعاصر، ورغم أن (الرحمة) من القيم المحورية في الإسلام، ولكننا نلاحظ أن الجهات الأخرى تبنّت اليوم هذه القيمة نظرياً وعملياً، ولا نريد الآن البحث في ما إذا كان هذا التبني تبنياً واقعياً أم مزيّفاً، فلهذا مجال آخر، ولكن الشيء الواضح هو أن الجهات الأخرى ترفع اليوم شعار (الرحمة)وتتبناه نظرياً وعملياً، فالمسيحيون مثلاً يحاولون أن يكتسحوا العالم من خلال رفعهم هذا الشعار، وإذاعاتهم تردد (أن المسيح عليه السلام رحمة) و(أنه عليه السلام افتدانا من لعنة الناموس) و(أنه عليه السلام

(١)ألقى سماحة آية الله السيد محمد رضا الشيرازي رحمه الله هذه المحاضرة في ١٥ ربيع الأول من عام ١٤٢٥هـ، على جمع من طلبة العلوم الدينية في مدينة قم المقدسة. ورأينا من المناسب إلحاقها بهذا الكتاب لتعميم الفائدة وتتميمها، الناشر.

تحمل جميع الآلام للتكفير عن خطايا البشر).

وحتى القوى العظمى ترفع اليوم شعار (الرحمة) والدفاع عن حقوق الإنسان، فالغرب يرفع شعار الدفاع عن حقوق الأطفال في العالم وحقوق المرأة وحقوق السجناء و..، أما نحن المسلمين فمن المؤسف أن تبنّينا لهذه القيمة اليوم ضعيف جداً، سواء من الناحية النظرية أم من الناحية العملية. فلو اعتقل أحد المؤمنين في إحدى البلاد الإسلامية، فربما يبقى أعواماً لا يُعرف عنه شيء، في حين أنه لو اعتقل فرد من دين آخر فإن لجان الدفاع عن حقوق الإنسان توجه ضغوطاً كبيرة إلى الدولة التي تعتقله حتى تطلق سراحه.

لقد بقي الشيخ بهلول رحمه الله معتقلاً في السجون الأفغانية زهاء ثلاثين عاماً ولم يفرّج عنه حتى حدث خلاف بين الحكومة الأفغانية ودولة أخرى قامت بفضح الحكومة الأفغانية في مجال اضطهاد حقوق الإنسان، وأشارت إلى اعتقال الشيخ بهلول، فاضطرت الحكومة الأفغانية إلىإطلاق سراحه، وإلاّ لربما بقي سجيناً حتى نهاية عمره!

الرحمة في النصوص الإسلامية

إن النصوص الإسلامية مشحونة بمفهوم الرحمة، فأول ما تفتح كتاب الله تعالى يواجهك شعار الرحمة: ﴿**بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ**

الرّحِيمِ﴾ ، كما أن هذا الشعار مطلع كل سورة في القرآن الكريم.

وقد تكررت كلمة (الرحمة) ومشتقاتها في القرآن الكريم مئات المرات[1]، ولكننا نكتفي هنا بذكر آيتين كريمتين ؛ الأولى منهما ترتبط بالجانب التكويني، أما الثانية فترتبط بالجانب التشريعي.

أما الآية الأولى فهي قوله تعالى: **﴿إِلاّ مَن رّحِمَ رَبّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾** [2]. إن اللغز الذي حيّر العقول منذ القِدَم هو: لماذا خلق الله الإنسان؟ من الواضح أن الله تعالى خلق كل الأشياء من أجل الإنسان، ولكن ما هي الغاية من خلق الإنسان؟

يقول الله تعالى في الجواب على ذلك: **﴿إِلاّ مَن رّحِمَ رَبّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾** أي خلقهم كي يرحمهم، فهذا هو الدافع وراء خلق الإنسان، وهذه هي العلة الغائية لوجوده.

أما الآية الثانية فهي قوله تعالى مخاطباً نبيه الكريم ﷺ : **﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لّلْعَالَمِينَ﴾** [3]، و(إلاّ) تفيد الحصر، فيكون

---

(١) تكررت هذه المادة (رحم) بمختلف صيغها واشتقاقاتها ٥٦٣ مرة في القرآن الكريم.

(٢) سورة هود: ١١٩.

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٧.

معنى العبارة أن هدف البعثة متمحض في الرحمة.

اتضح إذن أن (الرحمة) تمثّل قيمة محورية في نظام التشريع، كما تمثّل قيمة محورية في نظام التكوين.

كيف يكون نبينا صلى الله عليه وآله وسلم رحمةً للعالمين؟

وهنا سؤالان قد يخطران في الأذهان عن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لّلْعَالَمِينَ﴾:

السؤال الأول: إذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رحمةً للعالمين، فلماذا لم ينتفع الكفار بهذه الرحمة؟ وإذا كان العلماء يقولون: (ما يعلم أنه لا يترتب على شيء لا يعقل أن يكون غرضاً منه) فكيف يكون الغرض من بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو (الرحمة) للجميع مع أنها لم تترتب عليه؟

هناك إجابات عديدة على هذا السؤال ولكنا نكتفي بالإشارة إلى إحداها وهي: إن (الرحمة) من الحقائق المشكّكة ـ حسب الاصطلاح الفلسفي ـ أي إن لها مراتب، وبعض مراتب هذه الرحمة شملت الجميع.

لقد كان السيد الوالد[1] (رضوان الله عليه) قبل زهاء شهرين من

(١) المرجع الديني الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره صاحب أكبر موسوعة فقهية في العالم، ولد عام ١٣٤٧هـ في النجف الأشرف، وهاجر إلى ←

وفاته، يحثّ العلماء والكتّاب الذين يزورونه على الكتابة عن فضل النبي ﷺ على الحضارة المعاصرة، وكان يقول: يمكن تأليف كتاب ضخم في هذا المجال ولكن ليس لي الوقت الكافي للقيام بذلك، ولذلك أؤكد عليكم أن تقوموا أنتم بذلك، فإن ما ينعم به إنسان اليوم من خير مدين به للنبي ﷺ.

لقد كان الغرب في القرون الوسطى يغطّ في ظلام الجهل والتخلف في كل المجالات، كما يعترف مؤرخوهم بذلك. ففي المجال الصحي كانت مستشفياتهم كاصطبلات الحيوانات، أما الوضع العلمي فيكفي أن نعرف أنهم كانوا يقتلون علماءهم ويحرقونهم، و(المفصلة) الموجودة في لندن والتي كانت تفصل رؤوس العلماء وغيرهم، عن أجسادهم شاهدة على ذلك.

وأما المرأة فكانت محتقرة أيما احتقار، حتى بُعث نبينا ﷺ وغمر

←

كربلاء المقدسة بصحبة والده (قدس سره)وهو في التاسعة من العمر، وقد تلقى العلوم الدينية على يد كبار العلماء والمراجع في حوزة كربلاء العلمية حتى بلغ درجة الاجتهاد ولما يبلغ العشرين، توفي في اليوم الثاني من شوال عام ١٤٢٢ في قم المقدسة بعد عمر حافل بالعلم والعمل الصالح وكثرة المؤلفات وتربية الأجيال والعلماء.

العالم بأنواره، وما مبادئ حقوق الإنسان وحرية الرأي وما يعبّر عنه بالديمقراطية في عالم اليوم إلاّ حصيلة احتكاك الغرب بالحضارة الإسلامية. فإذا كان الإنسان المعاصر ينعم بقدر من الحرية والأمن والعلم والمعرفة فإنما ذلك ببركة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم. ولقد أشارت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام إلى بعض الجوانب من هذه النقلة النوعية التي حققها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قولها: «فأنقذكم الله برسوله»[1].

اتضح إذن أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن رحمةً للمؤمنين أو المسلمين فقط، بل كان رحمة للعالمين جميعاً.

لا منافاة بين الرحمة والعقوبات الإسلامية

السؤال الثاني: إذا كان الإسلام دين الرحمة، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة، فكيف نفسر العقوبات الجزائية في الإسلام، أليست هذه العقوبات منافية للرحمة؟

نشير في الجواب ـ على نحو الإجمال أيضاً ـ إلى نقطتين:

(١) بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٣٦فصل نورد فيه خطبة خطبتها سيدة النساء... وفيه: (فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم).

النقطة الأولى: إن نظام العقوبات يمّثل جزءً محدوداً من الإسلام، وإن قيمته الكاملة تكمن في كونه يمّثل جزءً من النظام الإسلامي كله، ولو فصلنا أي جزء من المجموعة التي ينتمي إليها وعرضناه على أنه يمثل الكل فإن الصورة التي يعكسها هذا الجزء قد لا تكون جميلة، بل ربما تكون قبيحة منفرة.

والمشكلة أن بعض الناس يتصور أن الإسلام ليس سوى نظام عقوباته الجزائية، فما إن يذكر اسم النظام الإسلامي حتى يتبادر إلى ذهنه أنه النظام الذي يطبق تلك العقوبات، فإذا قيل له مثلاً: لنعمل من أجل أن يصل الإسلام إلى الحكم، قفزت إلى ذهنه قطع يد السارق وإقامة الحد على الزاني، مع أن الإسلام أوسع من ذلك بكثير، ولو راجعتم كتب الفقه فسترون أن الحيّز الذي يشغله النظام الجزائي ـ ككتاب الحدود والقصاص والديات ـ صغير قياساً إلى باقي الأجزاء مثل العبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات وغيرها.

وكان السيد الوالد رحمه الله يذهب ـ على تفصيل ذكره ـ إلى أن نظام العقوبات لا يُطبّق إلاّ إذا طبّق الإسلام كمجموعة متكاملة، فكان يقول: ينبغي أن يكون النظام الاقتصادي إسلامياً وكذلك النظام الاجتماعي والسياسي ثم نقوم بعد ذلك بإجراء الحدود.

وقد روي أنه جيء برجل سارق عند المأمون ـ العباسي ـ ليقطع يده، فاعتذر الرجل باضطراره، فالتفت المأمون للإمام الرضا عليه السلام وسأله: ما تقول؟ فقال الإمام عليه السلام : فللّه الحجة البالغة، أي لقد احتج عليه فردّه بالحجة، فغضب المأمون على الإمام(١)!.

---

(١) قال ابن سنان: كنت عند مولاي الرضا عليه السلام بخراسان وكان المأمون يقعده على يمينه إذا قعد للناس يوم الاثنين ويوم الخميس، فرفع إلى المأمون إن رجلاً سرق، فأمر بإحضاره، فلما نظر إليه وجده متقشفاً بين عينيه أثر السجود فقال: سوءة لهذه الآثار الجميلة وهذا الفعل القبيح، تُنسب إلى السرقة مع ما أرى من جميع آثارك وظاهرك؟ قال: فقال: ذلك اضطراراً لا اختياراً حين منعتني حقي من الخمس والفيء، قال المأمون: وأي حق لك في الخمس والفيء؟ قال إن الله تعالى قسم الخمس ستة أقسام فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ (سورة الأنفال: ٤١) وقسّم الفيء على ستة أسهم فقال الله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (سورة الحشر: ٧) فمنعتني حقي وأنا ابن السبيل منقطع بي ومسكين لا أرجع إلى شيء ومن حملة القرآن، فقال المأمون: أعطّل حداً من حدود الله وحكماً من أحكامه في السارق من أجل أساطيرهذه؟ فقال الرجل: ابدأ بنفسك فطهرها ثم طهر غيرك وأقم حد الله عليها، فالتفت المأمون إلى أبى الحسن عليه السلام فقال: ما يقول؟ فقال عليه السلام: إنه يقول سرقتَ فسرق، فغضب المأمون غضباً ←

فكأنّ الإمام عليه السلام يقول في جواب المأمون: إذا كان النظام الاقتصادي فاسداً فقام فقير بالسرقة مضطراً، فلا معنى لتطبيق العقوبة عليه.

ولذلك نلاحظ أنه عندما كان النظام الإسلامي مطبقاً إلى حد مّا، لم يكن القضاة يعرفون بعض الحدود[1]، لأنهم لم يكونوا بحاجة إلى تنفيذها، ولقد روى المؤرخون أن سارقاً سرق في عهد الإمام الجواد

➔

شديداً ثم قال للرجل: والله لأقطعنك، فقال الرجل: أتقطعني وأنت عبد لي، فقال المأمون: ويلك ومن أين صرت عبداً لك؟ قال: لأن أمك اشتريت من مال المسلمين فأنت عبد لمن في المشرق والمغرب حتى يعتقوك وأنا لم أعتقك، ثم بلعت الخمس بعد ذلك فلا أعطيت آل الرسول حقاً ولا أعطيتني ونظرائي حقاً، وأخرى إن الخبيث لا يطهر خبيثاً إنما يطهره طاهر، ومن في جنبه الحد فلا يقيم الحدود على غيره حتى يبدأ بنفسه، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة البقرة: ٤٤) فالتفت المأمون إلى أبي الحسن عليه السلام فقال: ما ترى في أمره؟ فقال عليه السلام: ﴿قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ (سورة الأنعام: ١٤٩) وهي التي تبلغ الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه، والدنيا والآخرة قائمتان بالحجة وقد احتج الرجل بالقرآن، فأمر المأمون عند ذلك بإطلاق الرجل واحتجب عن الناس واشتغل بأبي الحسن عليه السلام حتى سمه فقتله. راجع علل الشرائع: ج١ ص٢٤٠-٢٤١.

(١) أي لا يعلمون بكفيتها ومقدارها، فكيف بإجرائها.

عليه السلام وجيء به إلى القضاء، ولكن القضاة لم يعرفوا من أين ينبغي أن تقطع يده واختلفوا، حتى أن قاضي القضاة لم يعرف الجواب فلجئوا إلى الإمام عليه السلام فبين لهم الحكم![1]

---

(١) رجع ابن أبي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم فقلت له في ذلك، فقال: وددت اليوم أني قد متّ منذ عشرين سنة، قال: قلت له: ولم ذاك؟ قال: لما كان من هذا الأسود أبي جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم، قال: قلت له: وكيف كان ذلك؟ قال: إن سارقاً أقر على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحد عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يقطع؟ قال: فقلت: من الكرسوع. قال: وما الحجة في ذلك؟ قال: قلت: لأن اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع، لقول الله في التيمم ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ واتفق معي ذلك قوم. وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق، قال: وما الدليل على ذلك؟ قالوا: لان الله لما قال: ﴿وأيديكم إلى المرافق﴾ في الغسل دل ذلك على أن حد اليد هو المرفق. قال: فالتفت إلى محمد بن علي عليه السلام فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ فقال: «قد تكلم القول فيه»، قال: دعني مما تكلموا به! أي شئ عندك؟ قال: «اعفني عن هذا يا أمير»، قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه. فقال: «أما إذ أقسمت علي بالله إني أقول إنهم أخطأوا فيه السنة، فإن القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكف»، قال: وما الحجة في ذلك؟ قال: «قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وأن
←

أما النقطة الثانية: فهي أن كلّ قانون بحاجة إلى ضمانة تنفيذية، ومن دونها لا ينجح القانون، والعقوبات تشكّل إحدى الضمانات لتنفيذ القانون، وعلى هذا جرت سيرة العقلاء؛ ولذلك يقول علماء الكلام: إن محركية القانون لا تتم إلاّ بالوعد والوعيد.. ففي ظلّ نظام لا يعاقب المجرمين يفقد الناس الأمان ويطاردهم شبح العدوان على أموالهم وأعراضهم وأرواحهم... ولا يهنئون بعيشهم؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ**﴾ [1].

فإن في موت القتلة حياة من سواهم من الأبرياء، وهذا يعني أن العقوبات الإسلامية رحمة للناس لأنها تحقق لهم حياةً آمنة.

وظيفتنا تجاه الإسلام

إذا عرفنا أن الإسلام دين الرحمة، وأن نبينا ﷺ هو نبي الرحمة، كما روي عنه أنه ﷺ قال عن نفسه الشريفة: «إنما أنا

➔

المساجد لله﴾ يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ وما كان لله لم يقطع». قال: فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف. قال ابن أبي داود: قامت قيامتي وتمنيت أني لم أك حيا. بحار الأنوار ج٥٠ ص٥-٦.

(١) سورة البقرة: ١٧٩.

رحمة مهداة»[1]، فما هي وظيفتنا تجاه هذا الدين الذي هو دين الرحمة؟

نقول في الجواب: إن وظيفتنا الأولى تجاه الإسلام هو عرضه، ولا يكفي عرضه نظرياً، بل لابد من عرضه عملياً أيضاً.

إن كثيراً من الناس لا يعرفون حقيقة الإسلام، ولو عرف الناس الإسلام على حقيقته لأقبلوا عليه، فإن في الإسلام دقائق تكشف عن عظمته. إن الإسلام ليس رحمة للإنسان فحسب بل هو رحمة للحيوان أيضاً. ولو راجعتم كتب الروايات للاحظتم روايات عجيبة في هذا المجال. فهناك حقوق يذكرها الإسلام للحيوان لم تصل إليها الحضارة المعاصرة رغم الشعارات التي ترفعها في الدفاع عن حقوق الإنسان وحقوق الحيوان.

من الروايات العجيبة في هذا المجال ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «نظفوا مرابض الغنم وامسحوا رغامهن»[2].

فالإسلام يقول لأتباعه: حتى مرابض الغنم ينبغي أن تكون

(١) بحار الأنوار: ج١٦ص١١٥ ب٦ ح٤٤.
(٢) المحاسن: ج٢ ص٤٨٥.

نظيفة، والأعجب من ذلك أنه يدعوهم لمسح رغامها أي ما يخرج من أنوفها، فهل تجدون نظيراً لذلك في عالم اليوم؟

وهناك رواية مروية عن الإمام الصادق عليه السلام يعدد فيها ستة حقوق للدابة على صاحبها؛ يقول:

١ : «لا يحملها فوق طاقتها».

٢ : «ولا يتخذ ظهرها مجالس يتحدث عليها» فإنه إذا كان معذوراً أن يركبها حال السفر والتنقل، فهذا لا يعني أن يُتعبها من دون ضرورة، فلا ينبغي له أن يظل راكباً عليها يحدث صديقاً له، بل ينبغي له أن يترجل عنها ثم يحدث!.

٣ : «ويبدأ بعلفها إذا نزل». وهذا أيضاً من عجائب التشريع الإسلامي؛ فإن السفر يتعب الإنسان عادة، وعندما يصل المسافر يكون عادة منهكاً يفكر في راحته وغذائه أولاً، وهذا ما نلمسه عندما نسافر اليوم، فكيف إذا كان السفر على الدواب وعبر الطرق القديمة، ولكن الإمام عليه السلام يقول: ينبغي أن تفكر في علف الدابة أولاً وليس في طعامك وشرابك.

ومن الحقوق:

٤ : «ولا يسمها» فإنهم كانوا يضعون علامات على الدواب عن

طريق كيها في مواضع من بدنها ، فنهاهم الإسلام عن ذلك.

٥ : «ولا يضربها في وجهها فإنها تسبح»

٦ : «ويعرض عليها الماء إذا مر به»[١].

وفي رواية أخرى : «ولا يضربها على النفار»[٢] ، أي عندما تنفر.

والروايات في هذا الباب كثيرة سواء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو عن الإمام الصادق عليه السلام وهكذا عن سائر الأئمة عليهم السلام ، وما أعظم قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال : «والله لو اُعطيتُ الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جُلب شعيرة ما فعلتُه»[٣].

ولصاحب كتاب الحدائق بحث حول حقوق الحيوان فيه بنود متعددة ، يقول في البند (د) : «قد صرحوا (أي الفقهاء) بأنه حيث إن ديدان القز إنما تعيش بالتوت (أي على أوراق التوت) فعلى مالكها القيام بكفايتها منه (أي هذه وظيفته الشرعية) وحفظها من التلف ، فإن عز الورق (وشح في السوق مثلاً وغلا ثمنها) ولم يعتن بها (فإن

---

(١) الكافي : ج٦ص٥٣٧ باب نوادر في الدواب ح١.

(٢) الأمالي ، للصدوق : ص٥٠٧، المجلس السادس والسبعون ح٢.

(٣) نهج البلاغة : الخطب ٢٢٤ من كلام له عليه السلام يتبرأ من الظلم.

المالك قدلا يعتني في مثل هذه الحالة لأنه يرى أن ذلك يكلفه) باع الحاكم من ماله واشترى لها منه ما يكفيها»[1].

وهكذا نلاحظ أن رحمة الإسلام تشمل حتى ديدان القز، فكما إن للإنسان حقوقاً فكذلك للحيوان، بل إن رحمة الإسلام تشمل حتى النبات أيضاً كما يظهر بمراجعة (بحث النفقات) من كتاب (النكاح)، ولو عرضت أحكام الإسلام وتعاليم النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام ورواياتهم على العالم عرضاً صحيحاً لأقبل نحوها أيما إقبال. ولا بأس أن نستطرد لنذكر ما نقله أحد الأخوة المؤمنين وكان يعيش في الغرب، حيث ذكر أنه أقيم احتفال لشخص يسمى (هارفي) باعتبار أنه مكتشف الدورة الدموية الصغرى، فارتقى المنصة وتحدث عن اكتشافه، فصفّق له الحاضرون، يقول الأخ: وبعد أن انتهى تصفيقهم أخذت أصفق وحدي، فأخذوا ينظرون إلي وسألوني عن سبب هذا العمل، فقلت لهم: إنني لم أصفق لهارفي بل صفقت لرجل منا نحن المسلمين كان يعيش قبل حوالي ألف وأربعمائة عام، و الذي اكتشف الدورة الدموية الصغرى، فقيل لي: من هو؟ قلت

---

(١) الحدائق الناضرة، للمحقق البحراني: ج٢٥ ص١٤٣.

إنه إمامنا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فقد ذكر ذلك لتلميذه المفضل بن عمر كما ورد في كتاب (توحيد المفضل) ويمكنكم مراجعة الكتاب والتأكد مما أقول، فصفق الحاضرون كلهم هذه المرة معي ولكن للإمام الصادق عليه السلام. إن تراثنا غني جداً، ولكنا مع الأسف حصرناه في زوايا محدودة ولم ننشره للعالم.

بعد الحملة العالمية التي شنت على الإسلام والتي رمته بالإرهاب والعنف، سألت أحد الأخوة المؤمنين الذين يعيشون في الغرب عن أثر هذه الحملات على المجتمع الغربي؟ فقال: لقد ولّدت عندهم رغبة جامحة في التعرف على هذا الدين. فقلت له: أهي مجرد رغبة في المعرفة أم هناك اعتناق أيضاً. فأجابني: المعرفة طريق الاقتناع والاعتناق. وقد نُقل أن في الغرب اليوم الإقبال على تعلم اللغة العربية لأنها لغة القرآن، كما نُقل أن المصاحف الكريمة نفدت من الأسواق الغربية.

إن القرآن حق، ومن طبيعة الحق أنه يهزم الباطل. إن الحق يخيف أهل الباطل، لأن الناس إذا عرفوه تركوا الباطل واتجهوا إليه، كالشمس عندما تشرق، حتى تطفأ المصابيح التي كانت مسرجة طوال اليوم ويتم الاستغناء عنها، بل المصابيح الكهربائية نفسها

عندما اخترعت قضت على المصابيح النفطية والشموع القديمة.

إن القرآن الكريم يؤثر في أعماق الإنسان، وإنه ليؤثر فينا ويهزنا نحن الذين عشنا في أجوائه منذ نعومة أظفارنا، فكيف بمن يسمعه لأول مرة؟! ما ألذّ سماع القرآن وهو ينطلق من المآذن خاصة في الأسحار! وما أعظم أثره في النفوس!

إن الطاقة التي يولّدها القرآن في النفوس لا تماثلها طاقة.

وهكذا الأمر في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحاديث الإمام الصادق عليه السلام وأحاديث سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام، كنهج البلاغة والصحيفة السجادية. إن الشعوب إذا عرفت الإسلام أقبلت عليه، ولكن الحكومات المعادية للإسلام هي التي تتهم الإسلام بالإرهاب وتسعى لتضليل شعوبها وتزييف وعيها من خلال إلصاق التهم بالإسلام. وقد قال أحد الأخوة المؤمنين ممن يعيشون في الغرب: إن البقال الذي كان يتبضع منه، طلب منه بعد الأحداث المعروفة[١] أن لا يأتي إلى محله بعد ذلك، وعندما سأله عن السبب قال: إني أشعر بالخوف عند مشاهدتك لأنك مسلم!! هكذا ملئوا أدمغة الناس

(١) إشارة إلى أحداث ١١ أيلول.

بالتهم والأباطيل؟!

كما نقل أخ آخر أنه التقى شخصاً من كبارهم فقال له: إني عندما أرى هذه المشاهد يقشعر بدني وأقول أحقاً هذا هو الإسلام؟

يقول الأخ المؤمن: فقلت في جوابه: لا تظلم الإسلام، فهؤلاء لا يمثلون الإسلام إنما هم فئة منحرفة؛ لأن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم هو نبي العفو والرحمة والتسامح والصفح والأخلاق العظيمة، وإنه عفا حتى عمن جيّش الجيوش ضده وقاد الجبهة التي قاومته وهو أبو سفيان، وعفا عن كل أهل مكة، وعندما سألهم وقد ربح المعركة: ماذا تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء[1].

---

(١) لما كان فتح مكة..دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البيت وأخذ بعضادتي الباب ثم قال: «لا إله إلا الله أنجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده»، ثم قال: ما تظنون وما أنتم قائلون؟ فقال سهيل بن عمرو: نقول خيراً ونظن خيراً، أخ كريم وابن عم.قال: «فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف عليه السلام: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ .. فاذهبوا فأنتم الطلقاء». فخرج القوم كأنما انشروا من القبور ودخلوا في الإسلام. بحار الأنوار: ج٢١ ص١٣٢ باب ٢٦ فتح مكة.

ثم قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن[1]! وأبو سفيان بالنسبة للمسلمين كان كهتلر بالنسبة إليكم، فهل كنتم ستعاملون هتلر لو ظفرتم به كما عامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا سفيان وقد أظفره الله تعالى به ونصره عليه نصراً مبيناً؟! إذن علينا أن نعرض الإسلام من خلال سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار عليهم السلام، وقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»[2].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لذلك وأن يجعل يوم[3] ميلاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو إمام الرحمة كما في دعاء التوسل، ويوم ميلاد حفيده مظهر الحقائق الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام مباركاً لنا ولكم ولجميع المؤمنين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة / محمد رضا الشيرازي /١٤٢٥هـ

---

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن رسول الله يوم فتح مكة لم يسب لأهلها ذرية، وقال: من أغلق بابه وألقى سلاحه أو دخل دار أبي سفيان فهو آمن». بحار الأنوار: ج٢١ ص١١٧ ب٢٦ فتح مكة ح١٣ عن الخصال.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٩٢ ب٨ ح٣٣٢٩٧.

(٣) هو اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأول.